الخصائصُ الصَّوتيةُ والصَّرفيةُ للهجاتِ قبائِلِ الشَّرق اللِّيبي

" منطقة المَـرْج والقـُرى المُحِيطة بها أَنْمُوذَجًا "

د. العدوي محمد راضي محمد

عضو هيأة التدريس بقسم اللغة العربية كلية التربية – المرج

ملخص البحث

هذه الدراسة تتعلَّق بالمستوىٰ الصوتي والمستوىٰ الصَّرفي لمدينة المرج والقرىٰ المحيطة بها ، وهي جزء من منطقة مُهِمَّةٍ جدًا في العالمِ العربيِّ ، وهي (منطقة شرق ليبيا) ، المعروفة قديمًا باسم (بـــرْقـــة) .

ومِثْل هذا الدراسات توقفُنا علىٰ معرفة تاريخ العلاقة بين الفصحىٰ ، والعامِّيَّة العربيَّة ، خاصَّة إذا علمنا أنَّ هذه المنطقة من شمال ليبيا ، الـمُكَوِّن الأساسيُّ لقبائلها ، هو القبائل التي هاجرتْ إليها من شبه الجزيرة العربية في عِدة غزوات من بني سَلِيم و بني هِلال في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين.

وتبدو أهمية هذه الدراسة من وجوه :

الأول : الدراسة الوصفيَّة للصَّوامتِ والصَّوائت في اللهجة محلِّ الدراسة ، ومقارنتا بالمأثور في الدرس الصوتي العربي .

الثاني : الدراسة تعرض السِّمات الصَّرفية التي تميِّز هذه اللهجة ، ومقارنتها بالظواهر الصَّرفية القديمة .

الثالث : لم تلق المنطقة اللَّهجية محلَّ البحث دراسةً من هذا النوع – علىٰ حدِّ علمي – بالرغم من سُمعتِها التاريخية ، وكلُّ الدراسات كانت في دلالة الألفاظ للَّهجة الليبيَّة بصفة عامة .

واعتمدتُ في هذه الدراسة علىٰ المنهجين : **المنهج الوصفي و المنهج التحليلي** ، حيث كان **الأوَّلُ** لوصف الظواهر اللهجية ، وتحديد خصائصها المتمثلة في لغة التخاطُب اليومي لأفراد هذه المجموعة البشرية، في بيئتها الجغرافية، وعلىٰ مختلف الوجوه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وكان **الثاني** لدراسة البنَىٰ الوظيفية و سياقاتها ، وطبيعة فونيماتها التركيبية .

وتمثلت عينة الدراسة في :

1 – التسجيلات الصوتية ، والمقابلات الشخصية التي قمتُ بها ميدانيًا لمختلف الشرائح البشرية التي تقطن المنطقة .

2 – الرواة الذين استمعت إليهم وجالستهم شخصيًا ، حيث دوَّنتُ الكثير من الأحاديث الدارجة ، و الأمثال السائرة

وأظهر البحث أنَّ اللهجة محل الدراسة تحمل ظواهر صوتية وصرفية تجعلها ممثلًا حقيقيًا للقبائل المنحدرة من شبه الجزيرة العربية ، وتجعلها – كذلك – من أنقىٰ اللهجات العربية المعاصرة ، وأقربها للفصحىٰ ، ومن هذه الظواهر :

تسهيل الهمزة – الجيم الاحتكاكية (الجيم التي كالشين) – التبادل بين صوتي السين والصاد – التبادل بين صوتي الضاد والظاء – التلتلة – القاف كصوت لهوي انفجاري مجهور (g) – الفحفحة – القلب المكاني – النسب – التصغير – جمع المؤنث السالم .

كما أظهرت أظهرت الدراسة ميلًا واضحًا عند الناطقين باللهجة محل الدراسة إلى اختلاس الكسرة (نصف حركة) كوسيلة صوتية لأداء أقل مجهود في نطق الحركات الكاملة (الضمة – الكسرة – الفتحة) . دلَّ على ذلك عدد المواضع التي استخدمت فيها اللهجة الكسرة المختلسة .

خريطة تاريخية قديمة لليبيا توضح المنطقة محل الدراسة (المرج) ، وتحتها خط للتوضيح .

مدخل :

إنَّ المستويين الصوتي والصرفي لكثير من المفردات والألفاظ الـمُمتدَّة على السَّاحة الـمُحدَثة ، يعكسان جانبًا من صور اللَّهجات العربية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية.

فأهل الحجاز ، وهم من أهل اللغة العربية الفصحى كانوا يُسَهِّلون الهمزةَ ، روى أبو زَيْد: " أهلُ الحجاز، وهُذيل وأهلُ مكة والمدينة لا يَنْبُرون ".[1] وأهلُ هذه المنطقة التي أقمتُ الدراسة الحالية عليها، لا ينْبُرون أيضًا ، فضلًا عن مُماثلات لهجيَّة أخرى ، فما يمنع من الوقوف والمراجعة لسياقاتهم اللغوية ، وسياقات الحال في مستوى تعاملاتهم اليومية ؟ أليستْ بعضُ الأنسجة الصوتيَّة ، وما تحمله من دلالات تذكرنا بالحُوشِيّ والغريب والشاذِّ والنَّادر الذي فَطِن إليه الأصمعيُّ و السَّجِسْتانيُّ و أبو زَيْد ، وغيرهم من رُوَّاد المدرستين البصريَّة والكوفيَّة ، ووضعوا فيها التصانيف المتعدِّدة .[2]

والدِّراسة الحالية تتعلَّق بالمستوى الصوتيّ والمستوى الصَّرفي لمنطقة مُهِمَّةٍ جدًا في العالمِ العربيِّ ، وهي (منطقة شرق ليبيا) ، المعروفة قديمًا باسم (بـــرْقـــة) .

وهذه الدراسة ليستْ دعوة تحوُّل إلى المستوى العامِّي، ولا إشارة إيجاب أوقبول للقول فيه ، لكنَّها رائحة الامتداد والتواصل و تلمُّس الجذور بين هذا الـمُـحدَثِ وآثارِ لهجات القبائل التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية وخصائصها الصَّوتية والصَّرفية .

إنَّ مِثْل هذا الدراسات توقفُنا على معرفة تاريخ العلاقة بين الفصحى والعامِّيَّة العربيَّة ، خاصَّة إذا علمنا أنَّ هذه المنطقة من شمال ليبيا ، الـمُكَوِّن الأساسيُّ لقبائلها ، هو القبائل التي هاجرتْ إليها من شبه الجزيرة العربية في عِدة غزوات من بني سَلِيم و بني هِلال في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين.

ووصلت العربيةُ من تلك المرحلة إلى الرِّيف والمناطق البدويَّة في عُموم شمال إفريقيا بالرغم من أنَّها لم تستطع أنْ تزيل اللهجاتِ البربرية تمامًا .

ويصنِّفُ المهتمُّون باللَّهجات العربية اللهجةَ الهِلاليَّة إلى : لهجاتِ سَلِيم في شرق ليبيا – المنطقة محلُّ الدراسة– والهِلاليَّة الوُسْطَى في وَسَط وجنوب الجزائر، والهِلاليَّة الشرقية من وسط تونس وشرق الجزائر ، وبصفة عامَّة تُعدُّ ليبيا منطقة لهجات بَدَويَّة لحدٍّ كبير.(3)

إنَّ هذه المستوياتِ اللَّهجيَّة التَّبصيرية صورٌ واضحة المعالم ، كما أفصحتْ عنها الدراسةُ الحالية، للأصل الذي تعاملت به قبائلُ الجزيرة العربية ، وإنْ أصابها الوَهَن و اعْتَراها الضَّعفُ عبر عصور الانحدار لجُملة من العوامل الاقتصادية والسياسية .[4]

والحقُّ أنَّه ليس كلُّ ما تستعمله العامَّة خطأً، إذْ إنَّ في بعض مفرداتها طاقة تعبيرية خاصَّة ، في الإمكان استغلالـُها لإثراء الفصحى وتلقيحها ، على حدِّ قول محمود تَيْمور.[5]

وإلى هذا المنحى ذهب الدكتور محمود السَّعران ، حيث يقول: " مِنْ أخطرِ ما هو راسِخٌ في أذْهان الناشئة من دارسي اللغة عندنا، تصوُّرُ العامِّية والعامِّيَّات تصورًا يكتفنه الخطأُ ، أو يلابسه الوهْمُ ، فالعامِّية عندنا مُنحطَّة ، أو صور فاسدة من الكلام العربي الفصيح الصحيح.ولقد يشتدُّ الوهْمُ بجماعة منهم، فيرى أنَّها لا تَجرى على قواعد و أصول ،ولا يَسْهُل عليه أنْ يتصور أنَّها باعتبارها لغة كأيَّة لغة ، يمكن الكشف عن قواعدها ووصف خصائصها ، وأنَّ في حيِّز الإمكان أنْ تصبح لغةً عامَّة مشتركة، أو لغة أدبية فصيحة في يوم من الأيام . [6]

ويذهب سمر رَوْحي الفيصل إلى القول إنَّ هذه العامِّيات تنتمي إلى العربية الفُصحى ، وأنَّها ليستْ شكلًا مستقلًا عنها .[7]

وينبغي التنبيه على أنَّه ليس من أهداف هذا البحثِ الدفاعُ عن العامِّيَّة ، بلْ هو محاولة أنْ تكون هذه الدراسةُ نواةً لوضع خريطةٍ صوتية لهجية

للعالم العربي تـــُـميِّز الموروثَ الصحيحَ من السقيم الدَّخيل الناتج عن تعاقب عصور الاحتلال لعالمنا العربيِّ ، خاصَّة إذا كانت هذه العامِّية كالتي نحن بصددها من أقرب العامِّيَّات العربية للفُصحى لظروفٍ سنوضحها بعد قليل .

على هذا البناء عقدتُ العزمَ على دراسة لهجة منطقة المرج والقُرى المحيطة بها ، وكلُّها في حيِّز المنطقة الشرقية لدولة ليبيا ، والمعروف قديمًا بإقليم بَرْقـــــَـــة.

المُكوِّن اللهجيُّ التاريخي للمنطقة محلِّ الدراسة :

امتازتْ اللغةُ العربية بظروف عِدَّة جعلتها أقلَّ اللغات تعرُّضًا للزعزعة والتغيير ، إذْ كانتْ منذُ بدأ انتشارُ العرب في أقطار الأرض لغةَ الدولة ولغةَ الدِّين . فالشعوب التي ضمَّـــــتـْها الدولةُ العربيةُ تلقَّتْ في وقتٍ واحد لغةَ الدولةِ ودينَها . ومنذُ نشأتْ الدولة العربية بدأتْ الشعوبُ الـمُنْضَوِيَة تحت لـــوائها تبني حضارةً جديدة ، كانتْ اللغةُ العربية أداتـَها في جميع الميادين ، وكانتْ أداتها لتطوير العلوم والآداب ، فالسبيل كان مُمهـــَّـدًا للغة العربية لتكونَ أداةً حضارية تامَّـــة في الحياة العادية والاقتصادية والعلمية والأدبية والدينية ، وفي الأسواق وشتـــَّى مناحي الحياة .

ومِنْ هذه الدول التي دخلها الإسلامُ منطقةُ شمال إفريقيا ، وتعرف بالمغرب العربي ، إذْ تجْمَعُ هذه المنطقةَ من العالم ظروفٌ تاريخيةٌ واحدة ، والتي لم يستقر الفتح العربيُّ الأوَّلُ فيها إلَّا بعد نهاية القَرن الأول الهجري ، حيث إنَّ البربر – السُّكان الأصليُّون للمغرب – انقضُّوا على العرب منذ بدء الفتح نهاية القرن الأول الهجري اثنتى عشرة مرة – على حدِّ تعبير ابن خَلدون – ولما استقرَّ الأمرُ بعد ذلك للعرب بدأ البربرُ يدخلون في الإسلام أفواجًا ، غير أنـــَّهم مع ذلك احتفظوا بنظامهم القَبَليِّ

الخاصِّ وعصبيتهم القومية ولغتِهم البربرية ، إلى جانب اللغة العربية .

ولم يأتِ القرنُ الرابع حتى آلَ الأمرُ إلى البربر بحكم أنَّهم كانوا الأكثريَّةَ في العدد . وكان من الممكن أنْ يكونَ مصيرُ اللغة العربية في ليبيا وشمال إفريقيا كمصيرها في بلاد فارس ، لولا أنْ حدث انقلابٌ كبير في القرن الخامس الهجري ، عندما اجتاحتْ قبائلُ بني سليم و بني هِلال أرضَ شمال إفريقيا .

كانتْ هذه القبائلُ – بنو سليم وبنو هلال – [8] من مُضَر تقيم في الحجاز وما يليه من أرض نـــَجْدٍ ، فكان بنو سليم في جوار المدينة ، وكان بنو هلال في جوار جبل غـــَزْوان قرب الطَّائف ، وقد اشتهرت مجموعة هذه القبائل بالمغامرات والمشاركة في الثورات ، وانحازتْ هذه القبائل إلى القرامطة عند ظهورهم ، فلمَّا انتصر العزيزُ بالله الفاطمي على القرامطة وانتزع مصر منهم نقل أشياعهم من هذه القبائل إلى صعيد مصر (*) ليكونوا أقرب إلى مراقبته ، ولكنَّ هذه القبائل استمرت على حالها من إثارة القلاقل حتى ضاق بهم وزراء المستنصر بالله ، فرأى (اليازوريُّ) وزيرُ المستنصر الفاطمي أنْ يقذف بهذه القبائل على إفريقيا ليحقق غرضين غي وقت واحد : أوَّلهما : إخضاع المعز بن باديس البربري الصنهاجي الخارج عن طاعته .

ثانيهما : التخلص من قبائل بني سَليم وبني هِلال .

فأخذ يحرِّض هذه القبائلَ على الرحيل عن مصر ، وجعل لكلِّ واحد منهم دينارًا وراحلة .فغارتْ هذه القبائلُ على الشمال الإفريقي ، واستقرَّ بنو سَليم في بَرْقة غرب مصر ، واستقرَّ بنو هِلال في طَرابلُس . و لَمَّا تحقـــَّـــق لهم النصرُ على البربر سار مع هؤلاء عددٌ من أبناء القبائل المختلفة في شبه الجزيرة العربية ، من فَزَارة ، وأشْجَع ، وهَوَازن ، ومِن اليمنية ، والقَيْسية ، والنِّزَارية ،وساح العربُ في ربوع ليبيا ، وذاب البربرُ وَسَط العرب وانْتَسبوا إليهم . ولم يبق للبربر من أثرٍ إلَّا قطع قليلة،مثل واحة أُوجَلَة في بَرْقة ، وجبل نـــَفُّوسة في طرابلس . [9]

* ربما تفسِّر اللمحة التاريخية هذا التشابهَ المعروف بين لهجات صعيد مصر ولهجات المنطقة محل الدراسة .

ومن هذه اللَّمحة التاريخية السريعة يبدو أنَّ هجراتِ هذه القبائل كانت السبب وراء سِيادة اللغة العربية في ليبيا . فيمكن أنْ نقول أنَّ اللَّهجةَ الليبية الحاضِرةَ ماهي إلَّا سُلالةٌ صافية من لهجات العرب الذين حَلُّوا في أرض ليبيا في القرن الخامس الهجريّ .

كما يمكن أنْ يقال إنَّ سِيادة اللغة العربية كانتْ أتمَّ في جانب الشرق (بَرْقة) مما هي في جانب الغرب ، حيث كانت موجة الغَلَبة للعرب تضْمحِلُّ كلَّما اتَّـــجَـــهَتْ غربًا .

هذه الظروفُ التاريخية جعلت الباحثَ الأوروبي (كيس فرستيغ) يشير إلى ملحوظة مهمَّة ، وهي أنَّه لا يوجد في أيِّ منطقة أخرى في العالم العربي غيرِ المغرب هذا الفاصلُ الزمني بين مرحلتي التعريب ، في القَرن الأول والقَرن الخامس .[10] مما يعني أنَّ هذه المنطقة من العالم العربي (بَرْقة) من أفضل المناطق المحافِظة على السِّمات اللَّهجية للقبائل المنحدرة منها والتي تُعبِّر عن اللغة الفصحى ، وهذا أمرٌ مشجِّع على دراسة هذه اللهجة في منطقة المرج ومحيطها الجغرافي .

سبب اختيار المنطقة محلِّ الدراسة دون مناطق الشرق الليبي :

اخترتْ مدينةَ المرج وما يحيط بها من قرىً دون بقيَّة مدنِ الشرق الليبيّ ؛ لأنَّ المرج تُعدُّ من أصغر وأنقى التجمُّعات السكانية في الشرق الليبيّ ، فهي تـــَجَمُّعٌ بدويٌّ محدود ومغلق ، لم تتأثر لهجته بكثير من الهجرات من نواحي ليبيا ، أو مزيج سكاني من خارج المرج .

بالإضافة إلى كونه مجتمعًا محافظًا على العادات والتقاليد البدويَّة ، ويحتكم في كثير من مشاكله للأحكام العُرْفيَّة .[11]

الدراسات السابقة :

1 – اللَّهجة الليبية في فضائها العربيِّ الأوْسَط بين المشرق والمغرب ، الفصيح المتداوَل في اللهجة الليبيَّة " دراسة تأصِيلية بين المدن والأرياف والبوادي " محمد حسن عبد العزيز الزيات .

صدر عن مَـجْمع اللغة العربية بالجماهيرية العظمي (سابقًا) ويتضمن الكتاب الذي يقع في "288" صفحة مجموعة من الدراسات التي تم تقديمها خلال الحلْقَة الأولى من الندوة العلمية الثالثة التي نظَّمها مَـجْمعُ اللغة العربية بالجماهيرية في الفترة من 4 إلى6 الكانون 2006 مسيحي بمشاركة نُخبة من العلماء والأساتذة المختصين في علوم اللغة العربية وآدابها وفقهها . وتتناول هذه الدراسات موضوعات مهمة منها التعريب كمظهر من مظاهر التفاعل بين الشعوب وتعدُّد اللهجات والأصول والاستعمالات المشتركة في اللهجتين الأندلسية والليبية وعلاقة اللَّهجة الليبية بالفصحى والتراث الشفاهي وأهميته في التوثيق الإعلامي وغيرها من المواضيع المهمة في مجالات الثقافة واللغة العربية .

2 – الأصول العربية الفصيحة لألفاظ اللهجة الليبية في ضوء علمَيِّ الدِّلالة والمعجم . عبد الله عبد الحميد سالمان سُوَيْد ." مطبوعات جامعة قاريونس " ، دراتْ الدراسةُ حول تأصيل الألفاظ العامية في اللَّهجة الليبية من المعجم العربيِّ وبيان دلالتها أو سياقها الاجتماعي ، فهي دراسة تدور حول الدلالة المعجمية .

3 – الألفاظ في لهجة واحة الكُفْرة وعلاقتها باللغة العربية " دراسة في دلالة الألفاظ " . حنفي أحمد بدوي علي :

عبارة عن دراسة دلالية من المعجم العربي لبعض الألفاظ في الواحَة المذكورة ، وتأصيها من المعجم ، فهي كالدراسة السابقة .

يتضح من عرض الدراسات السابقة جِدِّية موضوع هذا البحث من ثلاثة جوانب .

الأول : الدراسة الوصفيَّة للصَّوامتِ والصَّوائت في اللهجة محلِّ الدراسة ، ومقارنتا بالمأثور في الدرس الصوتي العربي .

الثاني : الدراسة سوف تعرض السِّمات الصَّرفية التي تميِّز هذه اللهجة البدويَّة ، ومقارنتها بالظواهر الصَّرفية القديمة .

الثالث : لم تلق المنطقة اللَّهجية محلَّ البحث دراسةً من هذا النوع – على حدِّ علمي – على الرغم من سُمعتِها التاريخية ، وكلُّ الدراسات كانت في دلالة الألفاظ للَّهجة الليبيَّة بصفة عامة .

منهج البحث :

بُغية الوقوفِ على صفات وخصائص لهجة ، يؤكد إبراهيمُ أنيس أهميَّة التسجيل الصوتيِّ [12] ويذهب (ديفيدآيركرومبى) إلى أنَّ المادة اللَّهجية يجب أنْ يسجلَها مختصٌّ، لكي يقف على كلِّ دقائقها و تفاصيلها، لأنَّ أيَّ إخفاقٍ في تدوين النصِّ اللهجيِّ وتتبُّع مكوناته الصَّوتية ، يؤدي إلى نتائجَ غير صحيحة في التَّحليل و الاستنتاج [13]

وكما أنَّ التدوين هو شريان الحياة ؛ ومن هذا المنطلق ، كان لا بُدَّ من منهجٍ تقوم على أساسه الدراسةُ الحالية ، التي تنتمي إلى فرعٍ يسمى : علم اللهجات ، في تحليل البِنْية اللغوية للهجة المدروسة على وفق المستويين الصوتي والصرفي .

فاعتمدتُ في هذه الدراسة على :

أوَّلًا – المنهج الوصفي . **ثانيًا** – المنهج التحليلي .

حيث كان الأولُ لوصف الظواهر اللهجية ، وتحديد خصائصها المتمثِّلة في لغة التخاطُب اليومي لأفراد هذه المجموعة البشرية، في بيئتها الجغرافية، وعلى مختلف الوجوه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،كان الثاني لدراسة البنَى الوظيفية و سياقاتها ، وطبيعة فونيماتها التركيبية.

العينة المعتمدة في الدراسة :

1 – التسجيلات الصَّوتيَّة ، والمقابلات الشخصية التي قمتُ بها ميدانيًا لمختلف الشرائح البشرية التي تقْطُن المنطقة .

2 – الرواة الذين استمعتُ إليهم وجالستُهم شخصيًا ، حيث دوَّنْتُ الكثير من الأحاديث الدارجة ، و الأمثال السائرة .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

1 – طول مُدَّة الدراسة ، حيث استغرقت هذه الدراسةُ قُرابة العامين ؛ لأنَّها تعتمد على السماع والتسجيل الصوتي والحوار ، وتدوين الملاحظات الصوتية لشرائح معينة بعيدة عن طبقة المثقفين .

2 – امتـــــناع بعـــض الأشخاص عن التسجيل أو الحوار ، خاصة من النساء لطبيعة المجتمع البدوي ، ولأنَّ الباحثَ غير ليبي ، فأحيانًا كنتُ أجدُ صعوبةً في تسجيل أو إدارة الحوار مع مستهدفٍ بعينه ؛ ولهذا كان للملاحظة والتسجيل الكتابي خلال الحوارات اليومية النصيب الأكبر في جمع عيِّنة الدراسة .

3 – صعوبة إدارة الحوار في القُرى المحيطة بالمرج ، حيث إنَّ هذه القُرى عبارة عن تجمُّعات سُكَّانية صغيرة ومغلقة ، تتحرَّج في التعامل مع القادِم إليها من غير أهلها . وتغلَّبْتُ على هذه المشكلةِ عن طريق بعض الصداقات في العمل ممَّن يسكنون هذه القُرى ، وكذلك طلابي في كلية التربية من أبناء هذه القرى .

خطة الدراسة :

1 – مقدمة : فيها سبب اختيار الموضوع ، وأهداف الدراسة ، وعَيِّنة الدراسة ، والمنهج المتبع ، وتاريخ المنطقة محلُّ الدراسة ، والدراسات السابقة ،

وخطَّة الدراسة ، والصُّعوبات التي واجهت الباحثَ .

2 – المبحث الأول : المستوى الصوتيِّ .

المطلب الأول : الهمزة .

المطلب الثاني : الجيم التي كالشين .

المطلب الثالث : القاف .

المطلب الرابع : السين والصاد .

المطلب الخامس : الضاد .

المطلب السادس : إيثار الكسر على الضم .

المطلب السابع : تحريك وَسَط الكلمة .

المطلب الثامن : النـــَّـــبر stress

المطلب التاسع : التلتلة .

3 – المبحث الثاني: المستوى الصرفيِّ .

المطلب الأول : بناء الجُّموع .

المطلب الثاني : سابِقة النون على الفعل المضارع للمتكلم.

المطلب الثالث : حذف الألف من حرف التعريف " أل " ، وزيادة ألف وصل في بداية الكلمة .

المطلب الرابع : سابِقة النون والتاء في بناءِ الفعل للمجهول .

المطلب الخامس : إطالة الصائت القصير في فعل الأمر الثلاثي .

المطلب السادس : خالفة مصوِّت الواو .

المطلب السابع : القلب المكاني .

المطلب الثامن : التَّصْغير .

المطلب التاسع : النَّسَب

4- خاتمة فيها أهم نتائج البحث وتوصياته .

5- موارد الدراسة .

هوامش المقدمة

(1) أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز : خليل إبراهيم العطية ، البصرة ، 1990 . ص32

(2) انظر– مثلًا : المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911ه) ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، القاهرة ، د . ت .

(3) اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها : كيس فرستيغ ، ترجمة محمد الشرقاوي ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ط 1 ، 2003 م . ص 187، 188

(4) أباطيل وأسمار : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، 1385 ه . ج1/ 153

(5) العربية بين الفصحى والعامِّية : عارف الكندي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد 44 . ص 59

(6) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : الدكتور محمود السَّعران ، القاهرة 1962 م . ص43

(7) المشكلة اللغوية : سمر رَوْحي الفيصل ، بيروت ، 1992 . ص 10،11

(8) همْ أكثر قبائل (قَيْس) عددًا ، ومساكنهم في عاليَة نجدٍ بالقرب من خَيْبر ، ومنازلهم حَرَّة سَليم ، وحَرَّة النار ، بين وادي القرى وتَيـــْماء .وانظر : نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب ، أبو العباس أحمد القلقشندي (ت790ه) ، ط بغداد . ص168

(9) انظر : تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، عبد الرحمن بن خلدون (ت808ه) ، فهرسة خليل شحادة وآخر ، بيروت ، دار الفكر ، 1421ه = 2000م . ج6 / 17 : 20

(10) اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها . ص186

(11) ملخص حوار دار بين الباحث وبين عميد كلية التربية بالمرج في حضور رئيس قسم اللغة العربية بالكلية، وهما من أبناء المرج .

(12) في اللهجات العربية : دكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ، ط 4 ، 1973 م . ص13

(13) phoneties in linguistics : w . e jones and J. laver ، Britain ، 1973. P – 5

المبحث الأوَّل : المستوى الصوتي.

المطلب الأوَّل: الهمزة .

الهَمْز- ويسمَّى النَّبر أيضًا- من الصفات اللَّهجية التي اختصَّتْ بها قبائل شبه الجزيرة العربية، وهي سِمة عُرِفت بها قبيلة (تميم)، وكان أهلُ الحجاز، ومن جاورهم يسهِّلون الهمزة عند استعمالهم اللغة الفصحى ، لذلك قال أبو زيد الأنصاريّ: " أهل الحجاز وهُذَيل ، و أهل مكة والمدينة لا يَنْبُرون ، وَقَف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما آخذُ من قول تميم إلا النَّبرَ، وهمْ أصحاب نبرٍ، و أهل الحجاز إذا اضطروا نَبروا ."[1]

ومعنى قوله: (اضطروا)، أي : إذا استخدموا اللُّغةَ النموذجية، وذلك في الأساليب الأدبيَّة من شعر أو خَطابة، فكانوا يَلجؤون إلى تحقيقه كلَّما عَنَّ لهم أمرٌ جدِّي يتطلب استخدامَ اللغة النموذجية الأدبية."[2]

فتحقيق الهَمْز من سِمات العربية الفُصحى، وهو من أبرز الأمور التي اقتبستها اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية.[3]

ولهجة المنطقة محل الدراسة تعاملتْ مع الهمزة بالصور الآتية :

1 – التَّسْهِيل ، كما في :

الأفعال : مَلِيت– طَفِيت– خَذِيت– تـوَضِّيت – جِيت– هِدِيت ، في مقابل : مَلأْتُ – أخطأْتُ– أخذْتُ– تَوَضَّأْتُ– جئْتُ – هدَأْتُ

الأسماء في الهمزة الوسطية ، نحو:

راي– راس– فاس– كاس– ذِيب– بِير– خايِف– لايِق

في مقابل رأْي _ رأْس _ فأس _ كأس _ ذِئْب _ بِئْر _ خائف _ لائِق

وذلك يرجع إلى رغبةٍ في التخلُّص من صعوبة النطق لصوت الهمزة الشديد .

2 – إسقاط الهمزة :

أ– في الصِّفات الدالة على اللونين الأحمر و الأخضر : حـمَر = أحـْمَر ، خَضَر = أخْضَر

مع ملاحظة تحريك الصوتين اللذين بعد الهمزة بالفتح . أما بقية الصفات الدالة على الألوان فتبقى الهمزة ولا تحذف، فهم يقولون :

أسْوَد – أصْفَر– أزْرَق

ب – الصفات الدالة على العيوب

الخُـــلُـــقية : عَرَج _ عَوَج _ عَمَى _ خـــَرَس _ عَوَر _ طـــَـــرَش _ طـــَـــرَم

في مقابل : أعْرَج _ أعْوَج _ أعْمَى _ أخْرَس _ أعْوَر _ أطْرَش _ أطْرَم

مع تحريك ما بعد الهمزة ، الصوتين الأول والثاني – بعد الحذف – بالفتح :

ج – في جمع التكسير، نحو: خَوَات _ عَمَام _ خَوَال _ خَوَان

في مقابل : أخَوَات _ أعْمَام _ أخْوَال _ إخْوَان

د – في ضمير المتكلم: نا = أنا

وظاهرة حذف الهمزة أمر تستسيغه التراكيب الفونيمية للغة، خصوصًا إذا وقعت قبل أصوات حلقية ، مثل : حـمَر ، وتوالي صوتين حلقيين أمر غير شائع في تراثنا ، وهذا ما أكده ابن جنّيّ بقوله: " إذاتقارب الحرفانِ في مخرجهما قلَّ اجتماعُهما ، ولا سيما حروف الـحَلْق ."[4]

3- إبدال الهمزة واوًا : وِين _ وَكَّد _ وِرْث ، في مقابل : أَيْن _ أَكَّد _ إِرْث

وفي تراثنا اللغوي نماذج عديدة لقلب الواو همزةً مثل : وِكَاف و إِكَاف (وهو ما يُربط به البعيرُ) ، و وَجْه و أُجُوه ، قال تعالى: " و إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ " (المرسلات11) ، و(وُقِّتَتْ).وهذا وِشْكَان ذاك ، وأشْكَان ذاك .[5]

ويبدو أنَّ السبب الصوتي لهذا الإبدال ، يرجع إلى تـــخلُّص اللَّهجة من نطق الهمزة لصعوبته ؛ فيلجؤون إلى إبداله بصائت انزلاقي، طلبًا للسهولة .[6]

المطلب الثاني: الجيم التي كالشين .

تعددت الصور النطقية لصوت الجيم في الفكر اللغوي القديم على النحو الآتي :

1- صورتها كصوت من مقدِّم الحنَك مركب مجهور، (لثوي حنكي). و يمثلها حديثًا قُرَّاء القرآن الكريم المجيدون في مصر ، وخُطباء المساجد في صعيد مصر .[7]

2- صورتـها كصوتٍ من أقْصَى الحنَك انفجاري مجهور، وهي الجيم التي كالكاف كما تنصُّ عبارةُ سيبويه [8] ، ويمثلها حديثًا الجيم القاهرية(g) ، وبعض مناطق الجزيرة العربية .

3- صورتها كصوت من مقدِّم وَسَط الحنَك احتكاكي مجهور، وهي الجيم التي كالشين كما تنصُّ عبارةُ سيبويه [9] ، ويمثلها حديثًا الجيم الشامية (سوريا وفلسطين ولبنان) .[10]

أمَّا الجيم المستعملة في المنطقة محلِّ الدراسة فهي الجيم الشامية، والتي يقابلها في اللغة الإنجليزية حرف j ، ووصَفَها سيبويه -كما ذكرت - بأنها الجيم التي كالشين : Jarida – jari –jai – jeet – japal – jou

في مقابل : جريدة – جاري – جاي – جيت (أتيتُ) - جبل _ جـــــــوَّة (بالداخل) .

- على أنَّ هناك إبدالًا بين الجيم والزاي في لهجة هذه المنطقة كالآتي : عَزوز- ســـــــزِّل- زِلـــِّـــيـــــــــز – زوزها – هَدْرزة – زردة .

في مقابل: عَجوز- سَجَّل- جِلـــِّـــيز(بلاط) – جُوزها (زوجها) – هَدْرجة (المرح والهرج) - جَرْدة

والجيم شجرية والزاي أَسْيلة، فالإبدال بينهما هو بين حرفين متباعدين مخرجًا وصفة. وهو إبدال معروف قديمًا ، يقولون : مضى هَجِيع من الليل ، وهَزِيع ، والهَجَف و الهَزَف : الظَّليم ، وجَمَخ ، وزَمَج بأَنْفِه ، أي: تكبـــَّر، وأجمعْتُ المسير ، و أزْمَعْتُ.[11]

مما يعني أنَّ الإبدال بين الجيم والزاي من قبيل اللهجة . ويرجِّح ابنُ خلدون أنْ يكون هذا الإبدالُ من آثار لهجة البربر ، ويفسِّر اسم قبيلة زناتة بأنَّ أصلها مشتقٌّ من اسم (جانا) ، وهو أبو القبيلة ، فجُمِع أهلُ القبيلة في اسم (جانات) ، ونُطْق البربر للجيم ليس من مخرجها عند العرب ، فهم يبدِّلونها زايًا محضة .[12]

المطلب الثالث: القاف .

تمثِّل القافُ أحد فونيمات اللغات السامية بكُتْلَتيها الشمالية والجنوبية ، والقاف صوت لَـهَويٌّ انفجاريّ مهموس ، كما ننطقه اليوم في الفصحى المعاصرة . فإذا رجعنا إلى موقف اللغويين العرب منه وجدناهم يعتبرونه من أقصى اللسان ، وما فوْقَه من الحنَك الأعلى شديدًا مجهورًا ، ويعتبره علماءُ القراءات صوتًا لهويًا شديدًا مجهورًا ، أيْ أنَّ هناك إجماعًا من اللغويين العرب على أنَّه صوت مجهور بخلاف نطقنا له اليوم في اللغة الفصحى مهموساً .[13] ووصف القدماء صوتًا آخر للقاف ، وهو

صوت لهويٌّ انفجاريّ مجهور، أيّ : النَّظير المجهور للقاف المعاصرة . يمثلها في اللغة الإنجليزية حرف g [14] .

والقاف المنطوقة في المنطقة محلِّ الدراسة ، هي: صوت لهوي انفجاري مجهور يمثله الحرف g)، كما في كلمتي : goal _game ، نحو :

_ gariby _ ygra _ galb _gal
gamar ، في مقابل : قَمَر– قَرِيبي – يَقْرأ – قَلْب – قال

المطلب الرابع: السِّين والصَّاد .

تشترك الصَّاد مع السِّين في المخرج ، وفي كونهما صوتين مهموسين عند سيبويه، والخاصَّة المميزة للصَّاد عن السِّين هي التفخيم ، ومعنى كون الصَّاد سينًا ، أو مثلها أنَّها فقدتْ هذه الخاصَّة المميزة، ولهذا وصف سيبويه هذا الصوتَ بقوله : الصَّاد التي كالسِّين . [15] لكن يبدو أنَّ الصَّاد التي يقصدها سيبويه لم تتحول كُليَّة إلى السِّين ، والأقربُ أنَّها فقدتْ جانبًا من تفْخِيمها ،فأصبحتْ نصْف مفخمة، أي : لا مفخمة كالصاد ،ولا مرققة كالسين .

وتتحول السِّينُ في كثيرٍ من الأحيان في لهجة هذه المنطقة إلى صاد ، نحو :

صورة – رصول – فلصطيني – صبورة – بِصْقِط

في مقابل : سورة – رسول – فلسطيني – سُبورة – يسْقُط

ويمكن تفسير ذلك في ضوء المماثلة الصوتية ، وتأثير الأصوات المفخمة في الأصوات المرقَّقة ، وبها قُرِئ القرآن الكريم [16] .

المطلب الخامس: الضاد .

يمثل صوت الضَّاد مشكلةً كبيرة بالنسبة إلى الباحث في تاريخ تطوره، ويبدو وصفُ اللغويين الأقدمين له غيرَ واضح ، أو يتَّسم بغير قليل من الغموض والتعقيد ، بحيث يجد المرءُ نفسَه حائرًا في فهم ما يقصدون على وجه الدقة. [17]

ويحدِّد سيبويه مخرج الضَّاد القديمة بأنَّه : " من بين أوَّل حافَّة اللِّسان ، وما يليها من الأضْرَاس" ، وتابعه في ذلك من تلاه من اللغويين [18] ، ويرى الخليلُ [19] أنَّها شجرية ، أيّ : من مخرج الثلاثة قبلها " الجيم والشين والياء " .

وفي لهجة المنطقة محلِّ الدراسة يختفي صوتُ الضَّاد ويُستبدل به صوت الظاء في جميع الكلمات ، نحو:

ظَيّ _ ظابِط _ ظاع _ ظَرْبة _ ظُلُوع _ ظِيف – ظَريبة ، في مقابل : ضَيّ _ ضَابِط _ ضاعَ _ ضَرْبَة _ ضُلُوع _ ضَيْف – ضَرِيبة

وصوت الظَّاء مخرجه بين الأسنان رخْوٌ مجهور مُطْبق [20]. وتناول المعجمُ العربي أمثلة لهذا الإبدال بين الضاد والظاء ، نحو: [21]

_ عظَّتْه الحربُ ، وعَضَّتْه . _ ضَجَّ : صاح في الحرب ، وظَجَّ . _ فاظَتْ نفسُه ، وفاضَتْ : مات .

_ قايَضَ ، وقايَظَ ، أيّ : بَادَل . _ وقُرِئتْ الآية " وَمَا هُوَ عَلَى الْـغَـيْـبِ بِظَنِينٍ " . [22] [التكوير 27]

ويُرجِع براجشتراسر نشأةَ نطق الضَّاد عند البدْو إلى ذلك النُّطق القديم ، وذلك بتغيير مخرجها من حافَّة اللِّسان إلى طَرَفه ،كما يُرجِع نطقَ الضَّاد عند

أهل المدن إلى هذا النطق البدوي الاحتكاكي (ظاء) ، وذلك باعتماد طَرَف اللِّسان على الفَكِّ الأعلى بَدَل تقريبه

منه ، فصار الحرفُ بذلك في نطقه شديدًا بعد أنْ كان رَخْوًا . [23]

وربما يفسِّر لنا هذا التطورُ ذلك التبادلَ بين صوتي الضَّاد والظَّاء ، الموجود في لهجة المنطقة محلّ الدراسة ، وينتشر في المعاجم العربية ، خاصة هذا التَّطور الذي ذكره براجشتراسر يتفقُ مع سرعة النطق الذي يتميز به أهلُ هذه المنطقة .

فالضَّاد القديمة من حيث المخرج _ كما ذكرتُ _ صوت جانبي لَثَويٌّ ، وفيه عنصرا الاحتكاك والانفجار ، وهو مجهور مطْبق ، لكنَّ هناك رأيًا لافتًا للنظر بالنسبة إلى الضَّاد القديمة نرى إثباته تكملة للموضوع ، ويتمثل فيما يقرره السكاكيّ من أنَّ الضَّاد حرف مهموس [24] . وهذا الحكم – على خطئه – يلفِتُ نظرنا إلى نقطة مهمة هي تشابه الضَّاد مع الظَّاء في الهمْس على ما يرى السكاكيّ مخالفًا بذلك جمهور اللغويين ، ولعلَّ الفائدة التي يمكن استنتاجها من رأى السكاكي هي أنَّ الصوتين كانا متداخلين في الاستعمال في عصره ، كثيري التبادل فيما بينها ، وإلا فعلامَ نفهم حكمَه عليهما بالذات دون بقية الأصوات المجهورة بالهمس ؟

وربما يقوِّي هذا الاحتمالَ – تداخل الصوتين في الاستعمال – ما ذكره ابن خلكان عن ابن الأعرابي راوي اللغة المعروف ، أنَّه كان يقول : " جائزٌ في كلام العرب أنْ يُعاقِبون الضَّاد والظَّاء ، فلا يـُخْطِئ مَنْ يجعلُ هذه في موضع هذه ، وينشد :

إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ أَوُدُّهُ

ثَلاثَ خِلالٍ كُلَّهَا لِيْ غَائِضُ

بالضَّاد ، ويقول : هكذا سمعتُه من فصحاء العرب . " [24]

ولقد انعكس تداخل صوتي الظَّاء والضَّاد في العربية القديمة على اللَّهجات العربية المعاصرة حيث يبدو تداخل هذين الصوتين واضحًا في اللهجة محلِّ الدراسة .

ولم يقتصر هذا التداخلُ على الاستعمال اللُّغوي في القديم داخل الكلمات ، بل امتدَّ إلى أحكام اللغويين القدماء على هذين الصوتين ففي الوقت الذي يقرِّر فيه ابنُ جنِّيّ أنَّ الضَّاد للعرب خاصَّة[26] ، يقرِّر الفيروزآبادى أنَّ الظَّاء حرفٌ خاصٌّ بلسان العرب [27] .

إذًا يبدو أنَّ غياب صوت الضَّاد في لهجة المنطقة محلِّ الدراسة يرجع إلى تطور نُطْق الضَّاد ليتداخل مع الظَّاء ، ثم حلَّ الظاءُ محلَّ الضَّاد في جميع الاستعمالات .

المطلب السادس : إيثار الكسر على الضمِّ .

كثيرة هي النماذج التي يسمعها الدارسُ للهجة منطقة المرج في تفضيل كسر كثير من الكلمات، بدلًا من الضمِّ الذي عليه لغتنا الفصحى ، وهي سِمة لهجية واضحة عندهم ، نحو :

إِخْت _ دِكَّان _ حِلْو _ مِشْط _ كِلْشِي (كُلُّ شيء) _ قِدَّام _ طِرْشِي (طعام) _ إِمّ

في مقابل: أُخْت _ دُكَّان _ حُلْو _ مُشْط _ كُلُّ شيء _ قُدَّام _ طُرْشي _ أُمّ

وفي تراثنا العربي كثير من النماذج التي تعزز هذه الظاهرة ، فمن ذلك : إِسْوة = أُسْوَة ، الوِشَاح = الوُشَاح ، الرِّجْز = الرُّجْز

وبالأخير وردت القراءات القرآنية : " **والرِّجْـــــزَ فَاهْـــــــــجُـــــرْ** " [المدثر 5] ، قال ابن منظور في لسان العرب : " قرئ والرِّجْز ، والرُّجْز ، بالكسر والضم ، ومعناها واحد ، وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب [28] .

والتفسير الصوتي لإيثار الكسرة على الضَّمة في اللهجة المدروسة أنَّ كليهما من أصوات اللِّين الضَّيقة ، ويبلغ اللسانُ معهما أقصى ما يمكن أنْ يصلَ إليه من صعود نحو الحنَك ، والفراغ بينهما أضيق ما يمكن أنْ يصل إليه للنطق بصوت ليِّن . [29]

مع التنبيه على أنَّ الكسرة المستخدمة في اللَّهجة محلِّ الدراسة في بداية الكلمات ليست كسرة كاملة ولكنَّها كسرة مُختلسة ، أيْ : نصْف حركة تتناسب مع سرعة النطق ، ولعلَّ هذا يتطابق مع ما سوف نشير إليه خلال هذا البحث ، من أنَّ هذه اللهجة تستخدم همزة وصل متحركة بكسرة مُختلسة في بداية بعض الكلمات للتخفيف. [30]

ويرى د. أنيس أنَّ القبائل البدوية فضَّلت الحركة الخلفية (الضَّمة)، وذلك لأنَّ هذا – في رأيه مظهرٌ من مظاهر الخشونة ، فإذا ما ضمَّ البدوى كسر الحضرىّ ، يُضاف إلى ذلك أنَّ الكسرَ دليلُ التحضُّر والرِّقة في معظم البيئات اللُّغوية ، وأنَّ اللغة العربية حين تطورت إلى لهجات حديثة مالتْ غالبًا إلى الكسر وغلَّبته على الضمِّ ، وذلك حين استقرَّت في المدن والبيئات المتحضرة. [31] .

فانتشار الكسر في لهجة هذه المنطقة يرجع إلى التَّطور الحادِث على حياة البَدْو وتحولهم إلى حياة الحضر. وتتجلَّى فكرة تفضيل البَدْو الضم على الكسر في اختيارات أبى عمرو بن العلاء لنُطْق البَدْو من تميم في قراءته ، نحو:

– قراءته: " وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً " [الكهف 111] بالضمِّ ، ووافقه حفص في ذلك .

– قراءته: " مُتْنَا _ مُتُّ " [المؤمنون 82 ، ومريم 66] ، بضمِّ الميم ، وقرأ حفص بكسرها .

– قراءته: " وَزِنُوا بالقُسْطَاسِ "[الإسراء 35]،بضمِّ القاف ، وقرأها حفصٌ بالكسر والضمِّ على لغة تميم ، والكسر على لغة كَنانة والحجازيين . [32]

وتفضيل البَدْو للضمِّ على الكسر ليس معناه أنَّ الكسرة غائبة في حديثهم ، لكنَّ معناه أنَّنا لو وجدنا كلمة تُنْطق بالكسر والضمِّ ؛ لكان الاحتمال الأكبر أنْ يكون النطق بالضمِّ للهجة للبدو .

لكنْ ينبغي الآن إعادة النظر في هذا الرأي ، فلا يوجد دليل مُقْنع على هذه المسألة ، كما أنَّ الانتشار الواسع في استخدام الكسر للهجة محل الدراسة يتعارض مع ذلك . وليس معناه – أيضًا – أنَّ الضمَّ أفصحُ من الكسر .

المطلب السابع: تحريك وَسَط الكلمة .

يميل أهل هذه المنطقة إلى تحريك وَسَط الاسم الثلاثي ساكن الوسط ، نحو :

السَبِت _ مِلِح _ ضِلِع _ فَخِذ _ صَبِر _ هِنِد _ عِشِق _ حَبِل _ عَظِم _ عَبِد _ قَلِب _ وَزِن _ بَطِن _ وَقِت _ قَبِر .

في مقابل: السَّبْت _ مَلْح _ ضِلْع _ فَخْذ _ صَبْر _ هِنْد _ عِشْق _ حَبْل _ عَظْم _ عَبْد _ قَلْب _ وَزْن _ بَطْن _ وَقْت _ قَبْر .

والتفسير الصَّوتي لهذه الظاهرة يمكن أنْ يكون في طلب تفخيم الحرف الأوسط بإعطائه حركة تُعين على إظهاره والإجهار به .

والحقيقة أنَّ حركة الكسرة التي أعطتها لهجة هذه المنطقة لوَسَط الكلمات السابقة، ليستْ فتحة ولا كسرة ، و إنما هي نصف حركة للكسرة (كسرة مختلسة) مع قليل من التفخيم ، أي صوت ليس له صورة كتابية في لغتنا العربية ، شبيه بصوت القلقلة المعروف عند علماء

التجويد ، ويبدو أنَّ عامل السرعة في النطق عند لهجة هذه المنطقة وراء ظهور مثل هذا الصوت .

المطلب الثامن : النَّبْر stress

يعرفه السَّعران أنـــــه : " درجة أو قُوة النَّفَس التي يـُنطق بها صوت أو مقْطَع ." [33] ويراه الدكتور أنيس ، شدَّةً في الصوت ، أو ارتفاعًا فيه ، وتلك تتوقف على نسبة الهواء المندفع من الرئتين [34]. أما الدكتور أحمد مختار عمر ، فالنَّبر عنده : " نشاط ذاتي للمتكلِّم ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به . أما الأثر السمعيِّ المرتبط بالنَّبْر فهو العُلُو." [35]

وبهذا يصبح النَّبر في الكلام هو الظَّاهرة الموقعية ، لأنَّه نَبر الجمل المستعملة فعلًا،وهي ميدان الظواهر الموقعية ، أمَّا النَّبر في نظام الصَّرف ، فهو نَبْر الكلمة المفردة أو الصيغة المفردة على الأصح ، وهو نَبْر صامت صمْتَ القاعدة نفسها ، وصمت اللغة من بعدها . والنبر بحكم التعريف : ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السَّمْع عن بقيَّة ما حوله من أجزائها [36]

والواقع أنَّنا لا نملك دليلًا على الكيفية التي كان العرب الأوائل ينْبُرون بها كلماتهم ، ويبدو أنَّ الظاهرة لم تلفت انتباههم ، ولذلك لم يُولُوها الأهمية في التسجيل والتتبع .

لعلَّ السبب وراء ذلك أنَّ النَّبْر لا يشكِّل عاملًا أساسيًا في تغيير معنى بعض المباني ، كما هي الحال في اللغة الإنجليزية ، التي يكون فيها موضع النبر حرًا مطلقًا free stress . وأمثلته كثيرة : فكلمة August : إذا نُطقت بنبر المقطع الأوَّل ، فإنها تعني شهر أغسطس ، وإذا وقع النبر على المقطع الثاني ، فإنَّها تعني : مهيب . وتسمى اللغات التي تعتمد النبر أساسًا للتفريق بين معاني التركيب باللغة النبرية stress Languages ، وفيها يعدُّ النبر فونيمًا له القدرة على خلق دلالات جديدة . ولهجة المنطقة محل الدراسة تحوي نوعين من النبر :

1 – نبر القاعدة أو نبر النظام الصرفي ، أو النَّبر الصامت ، وهو داخل الكلمة المفردة ، ويطلق عليه_ أيضاً _ نبر الصيغة .

2 – نبر الاستعمال ، أو نبر الجمل المنطوقة ، وهو الذي يحمل دلالات معينة .

_ ومن النوع الأوَّل : النَّبر الصَّامت (نبر الصيغة) :

أ_ في الأسماء الثلاثية : ينبرون المقطع الأخير من الاسم ، نحو: فَرَججج _ عَلِيبي _ حَسَننن _ عُمَررر _ حـَمَددد [37]

في مقابل: فَرَج _ عِلي _ حَسَن _ عَمُر _ حـَمَد

ب _ في الأفعال الثلاثية : ينبرون – أيضًا – المقطع الأخير من الفعل ، نحو: كتبب _ لعبب _ هجممم _ سمعع _ برمم _ نزلل

في مقابل : كتَبَ _ لعِبَ _ هجَمَ _ سمِعَ _ برَمَ (لفَّ) _ نزَل

ج _ الكلمات فوق الثلاثية: ينبرون المقطع الثاني ، نحو : مُنْتصر _ مُسْتعد _ مُصْطفى _ عِيسى _ حـميدة

في مقابل: مُنْتصر _ مُسْتعدٌ _ مصطفى _ عيسى _ حـمِيدة

_ ومن النوع الثاني : نَبْر الاستعمال :

أظهرت نتائج البحث الميداني أنَّ أهالي المنطقة محلِّ الدراسة يَنْبرون الجملة أينما وجدوا ضرورة ، لإبراز صورة، أو إجلاء غامض ، ويمتلكون مَلْمَحات نبرية تمييزية ، حال النطق بها، نحو: سْبَاحِ الخير = صَباحُ الخير ، مع ملاحظة البدء بالساكن ، وتنطق في صورتين :

الأولى : الصورة الاعتيادية ، وهي الصفة التي تغلِب عليها صفة العموم في المجالس ، والتركيب المقطعي لها كالآتي :

ص/ ص ح ح / ص ح ص / ص ح ح ص .

حيث يقع النبر على المقطع الرابع .

الثانية : الصورة التخصصية ، وهي التي تؤكد بنبر قوي ، إذا كان المخاطَب أحد الأصدقاء ، لإبراز حالة الودِّ العميق ، والتركيب المقطعي لها :

ص/ ص ح ح / ص ح ص / ص ح ح ص

، حيث يقع النَّبْر على المقطعين الثاني والرابع .

_ وفي حالة الانفعال ، نحو: وين رايح ؟!!! يكون التركيب المقطعي كالآتي : ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص ، بنبر المقطع الثاني .

– في حالة التعجب ، نحو: يَسَلام !!!! = يا سلام !!! ، التركيب المقطعي كالآتي:

ص ح / ص ح / ص ح ح ص ، حيث النبر على المقطع الثالث

– الاستفهام التعجبي ، نحو: كِيييف ؟!!! = كَـــــيْفَ ؟ !!! ، ص ح ح ح ص

– المبالغة ، نحو: مَطَر مَا لَـحَـــدّ !!! = مطرٌ ما لَه حَدٌّ !!! ، ص ح / ص ح / ص ح ح ص ، بنبر المقطع الثالث .

ويعد من نَبْر الاستعمال إطالة المصَوِّت الطويل long (الألف – الواو – الياء) ، نحو :

– صاح ؟!! = صحيح ؟ _ ليش ؟!! = لماذا ؟

– عيب يا راجل !!! = للزجر

وهذه الظاهرة ، أعني إطالة المصوِّت الطويل من خصائص القرى والمزارع المحيطة بمدينة المرج حيث الأقرب إلى البداوة .

المطلب التاسع: التَّلتلة .

ظاهرة لهجية قديمة تتمثل في كسر حرف المضارعة ، نحو: تِعْلم ، إِدْرس، ونِسْتعين ، وإِخاف ، وتنسب هذه اللهجة إلى قبيلة (بـَهْراء)،فيقول ابن جني :" وأمَّا تلتلة (بهراء) ، فإنها تقول : تِعْلَمون، وتِفْعلون ، وتِصْنعون ، بكسر أوائل الحروف . " [38] وعزاها ابن منظور وغيره [39] إلى كثير من القبائل العربية، فقال: " (وتـــعْلم) ، بالكسر لغة قيْس ، وتميم ، وأَسَد ، وربيعة ، وعامَّة العرب. وأمَّا أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هَوَازن ، و أَزْدُ السُّراة ، وبعض هُذَيْل ، فيقولون: (تـــَعلم) ، والقرآن عليها. وزعم الأخفش أنَّ كلَّ ماورد علينا من الأعْرَاب لم يقل إلَّا (تـــعْلم) بالكسر . وقرأ يحيى بن وثَّاب وغيره: (يَوْمَ تـــــبْيَضُّ وُجُوهٌ وتـــسْوَدُّ وُجُوهٌ) [آل عمران 106] بكسر التاء في الفعلين. [40]

وهذه الظاهرة تَظهر بكثرة في لهجة المنطقة محلِّ الدراسة ، بكسر حرف المضارعة من الفعل ، ولكنها كسرة مختلسة أو نصف حركة ، نحو:

تـِنام _ تـِمشي _ تـِقول _ نـِلعب _ نـِدهور (نمرح) _ يـِسأل _ يـِقرأ _ يـِشتري _ نـِهدرز (نتحدث)

في مقابل : تـــَنام _ تـــَمشي _ تـــَقول _ نـــَلعب _ نـــَتدهور _ يـــَسأل _ يـــَقرأ _ يـــَشتري _ نُهدرز

ويحاول الدكتور إبراهيم أنيس أنْ يفسِّر هذه الظاهرة بأنَّ " بعض القبائل التي تأثرت بحياة الحضر قد آثرت صوت اللِّين الأماميِّ الذي نسمِّيه كسرة " .[41] وقد يكون ذلك صحيحًا لو أنَّ الرواة لم ينسبوا هذه الظاهرة

إلى تميم وإلى هُذيل ، فتميم من القبائل البادية كما نعلم ، وهُذيل من القبائل الحجازية ، وعلى أية حال فاللغة لا تعرف الاطِّراد الدائم الذي لا يتخلَّف .[42]

وانتشار الكسر في بداية هذه الأفعال يتعارض مع النظرية التي ترى أنَّ البَدْو أميلُ إلى الضمِّ ، لكنْ يبدو أنَّ اختلاس الكسرة في بداية الكلمة

أسهل من اختلاس الفتحة ، فاختارت اللهجة اختلاس الكسرة ، تبعًا لميل البَدْو إلى السرعة في الكلام وبذل أقل مجهود في نطق الكلمة .

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أنَّ التَّلتلة ظاهرة سامية قديمة توجد في العِبْرية ، و السِّرْيانية و الحبشية ، والفتح في أحرف المضارعة حادِث في العربية القديمة ، بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى ، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة .[43]

وكسر حرف المضارعة في اللَّهجة محلِّ الدراسة ظاهرة لهجية قديمة مُنْحدرة من لهجات قبائل شبه الجزيرة العربية ، يؤيد هذا ذلك الانتشار الواسع الذي كان موجودًا عند العرب لاستخدام ظاهرة التلتلة .

هوامش المبحث الأول

(1) لسان العرب : ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ت 711 ه) ، دار صادر ، بيروت ، د . ت . ج 1 / 14

(2) في اللهجات العربية ص 78 ، 79

(3) السابق نفس الصفحة ، وانظر : اللهجات العربية في التراث ، دكتور أحمد علم الدين الجندي ، القاهرة ، 1965 م . ص 245

(4) سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان ابن جني (392 ه) ، تحقيق حسن هنداوي ، دمشق ، 198 م . ج1 / 75

(5) الإبدال والمعاقبة والنظائر : يوسف بن عبد الله أبو القاسم الزجاجي (415ه) ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، 1962 م . ص 15

(6) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ص 197 .

(7) انظر : أصوات العربية في ضوء المنهج المقارن : دكتور رفعت الفرنواني ، القاهرة ، مطبعة العمرانية للأوفست ، ط2 ، 1993 م . ص 113 ، 114

(8) الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة الخانجي ، ط3 ، 1966 م . ج 4 / 432

(9) المزهر في علوم اللغة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911ه) ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، القاهرة ، د . ت . ج 1 / 222

(10) الأصوات العربية : إبراهيم أنيس ، القاهرة ، دار النهضة ، ط3 ، 1971 . ص 79

(11) كتاب الإبدال : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (351ه) ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، 1961 م . ج1 / 223

(12) انظر : تاريخ ابن خلدون ج7/ 10

(13) أصوات العربية في ضوء المنهج المقارن ص 89

(14) انظر : العربية نحو بناء لغوي جديد ، الأب هنري فليش اليسوعي ، ترجمة د . عبد الصبور شاهين ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت . ص40

(15) الكتاب ج 4 / 432

(16) في قراءة ابن كثير " إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " .
انظر : البحر المحيط : محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت745ه) ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1413ه = 1993 م . ج1 / 25

(17) التطور النحوي للغة العربية : برجشتراسر ، القاهرة ، المركز العربي الحديث للنشر ، د. ت . ص 10

(18) حول ذلك ينظر :
– الكتاب ج 4 / 433 .
– سر صناعة الإعراب ج 1 / 52 .
– مفتاح العلوم : أبو بكر بن محمد بن علي سراج الدين أبو يعقوب السكاكي (626ه) ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1937 م . ص 5
– النشر في القراءات العشر :الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي ابن الجزري (833ه) ، تصحيح محمد علي الضباع ، بيروت ، د . ت . ج 1 / 200

(19) العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (170ه) ، ترتيب وتحقيق دكتور عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1 2003 م . ج1 / 41

(20) سر صناعة الإعراب ج 1 / 203 ، 204

(21) حول ذلك ينظر :
– سر صناعة الإعراب ج1 / 222
– كتاب الإبدال ج 2 / 267 وما بعدها .
– النشر في القراءات العشر ج 1 / 48
– المزهر في علوم اللغة ج 1 / 561 ، 562

(22) في قراءة عبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، ومجاهد ، وغيرهم . انظر : البحر المحيط ج8 / 426

(23) التطور النحوي ص 11

(24) مفتاح العلوم ص 4

(25) وفَيَات الأعيان وأنباء أهل الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681ه) ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د . ت . ج4 / 61

(26) سر صناعة الإعراب ج 1 / 222

(27) القاموس المحيط :محمد بن يعقوب بن محمد فضل الله مجد الدين الفيروز ابادي (817ه) ، القاهرة ، 1913 م . ج 4 / 361

(28) اللسان (رجز) ج5/ 253 .في قراءة الجمهور ، وهي لغة قريش . انظر : البحر المحيط ج8 / 364

(29) the phonetics of English ،by c . ward ،cambridge ، 1962 . pp 79-82 .

(30) انظر : صفحة 30 من هذا البحث .

(31) في اللهجات العربية ص 91 ، وانظر : فقه اللغة ، دكتور محمد فتيح ، القاهرة ، دار النهضة للتوزيع والنشر بجامعة القاهرة ، 1994 . ص46

(32) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي " أبو عمرو بن العلاء " : دكتور عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، 1408 ه = 1987 م . ص 314

(33) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص 206

(34) الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ص 175، 176

(35) دراسة الصوت اللغوي : دكتور أحمد مختار عمر ، القاهرة ، 1991 م . ص 188

(36) اللغة العربية معناها ومبناها : دكتور تمام حسان ، القاهرة ، الهياة العامة المصرية للكتاب ، ط 2 ، 1979 . ص 170

(37) أشرت لنطق النبر عن طريق تكرار الحرف موضع النبر ، محاولة للتوضيحه لعدم وجود صورة كتابية له .

(38) سر صناعة الإعراب ج1/ 235

(39) حول ذلك انظر :

– المحتسب : ص 185

– البحر المحيط ج1 / 23، 24

– لسان العرب : مادة (وقي) ج15 / 402 ، 403 .

– موسوعة علوم اللغة : إميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2006 م . ج 4 / 653

(40) وكذلك قرأ زِرُّ بن حُبيش والأعمش والنخعي " إيَّاكَ نَعْبُد وإيَّاكَ نِسْتعين ، بكسر نون الفعل . انظر : البحر المحيط ج 3 / 25

(41) اللهجات العربية ص 74

(42) انظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دكتور عبده الراجحي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1998 م . ص 124

(43) فصول في فقه اللغة : دكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ، 1981 . ص 125

المبحث الثاني: المستوى الصرفي

المطلب الأول : بناء الجموع .

يراد بالجمع ما دلَّ على أكثر من اثنين ، وهو ثلاثة أنواع : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير . ولكلٍّ من الجمعين السالمين للمذكر والمؤنث شروط معروفة .[1] أما جمع التكسير فيشمل جموع القلة وجموع والكثرة ، وجموع القلة تأتي على أوزان أربعة، هي: أَفْعُل ، وأَفْعَال ، أَفْعِلَة ، فِعْلَة ، وهذا النوع مطرد ؛ لذلك عند طائفة من القدماء: اسم جمع وليس بجمع .[2] أما جموع الكثرة فأوزانها كثيرة عدَّها ابن هشام الأنصاري ثلاثة وعشرين وزنًا.[3]

وفي لهجتنا المدروسة توجد الجموع بأنواعها الثلاثة ، على النحو الآتي :

أ– جمع المذكر السالم بالياء والنون دائمًا، وهو قليل في هذه اللهجة ، نحو: جايين – وِحْدِين – راضيين – كاتبين

ب – تفرَّدتْ هذه اللَّهجة بالمحافظة على جمع المؤنث السالم بنفس بنائه في العربية الفصحى ، كالآتي :

دجاجات – قاعْدات – سيارات – جالْسات – طالْبات – شاطْرات – نازْلات – فاهْمات

ج – أما الشائع في اللهجة محل الدراسة فجموع التكسير ، نحو:

طَلَبَة – حِيشان – سِنان – أصدقاء – رِجَّالة – بِـيبان – سَجَاجيد – مَوَاعين – رُوس

ويبدو أنَّ الأوزان الشائعة في اللهجة محل الدراسة لجموع التكسير هي: فِعَـــال _ فِـعـَـالة

المطلب الثاني: سابقة النون على الفعل المضارع للمتكلم الواحد .

حروف المضارعة معروفة جمعها العلماء في لفظ (أنيت) ،أي: الهمزة والنون والياء والتاء [4] وهي تكون في أول الفعل المضارع ولا تعرب .وتكون مضمومة في الفعل الرباعي ، نحو: دحرج يُدحرج ، ومفتوحة في غيره ، نحو: نجح يـَـنجح ، استخرج يـَستخرج . وسميت بذلك لأنَّ الفعل ، إذا دخلت عليه، صار يضارع بها الأسماء ، أي يشابهها .[5] وتأتي حسب : إسناد الفعل إلى الضمائر كالآتي .

أَكْتُب - تكتـُبين - تـَجْلس - يـَجْلِس - نَكْـتُب

ومن خصائص لهجة هذه المنطقة استخدام سابقة النون قبل المضارع المتكلم للواحد ، نحو: نِنامو - نـِمشو - نِروحو - نـِجلسو - نِقولو

وسابقة النون سِمة لهجية مشتركة بين لهجات المغرب العربي وبعض مدن الشمال في مصر ، حيث إنَّ هذه السمة الصرفية ساعدت على تصنيف هذه اللهجات كمنطقة لهجية واحدة [6]

المطلب الثالث: حذف الألف من حرف التعريف " أل ".

التعريف هو جعل الاسم معرفة بعد أنْ كان نكرة ، بطرق منها :

1_ بإدخال " أل " عليه ، نحو: الرجل .

2 _ إضافته إلى معرفة، نحو: رجل القرية .

3_ بإضافته إلى مضاف إلى معرفة، نحو: رجل وقت الشدة . 4_ بالنداء ، نحو: يا رجلُ .[7]

إلى آخر الطرق التي ذكرها النحاة لتعريف الاسم . [8]

واللهجة تتعامل مع (أل) المعرِّفة بالحذف ، فتحذف الألف منها – ألف الوصل – نحو:

لِكْتاب – لـحْمِدة (اسم قرية) – لِسْطاطة (اسم قرية)

– يـوْلـَـد خَشِّشِ لـْـبَقَر = يا ولد ادخل البقر

والملاحظ أنَّ هذه اللهجة تجرُّ اللامَ بعد حذف الألف من (أل) بكسرة مختلسة أو نصف حركة، كما هو واضح من تشكيل الكلمات في الأمثلة السابقة .

وفي مقابل ذلك الحذف لألف الوصل من (أل) فإنَّ هذه اللهجة تضع ألف وصل متحركة بكسرة مختلسة في بداية الأسماء والأفعال ، نحو :

اِحـْـمِيدة – اِعْمَر – اِمْرَاجع – اِمَّيـَّـة – اِمْبَارك – اِمْـحَمد – اِمْقَنـَّـط (مستعد وجاهز) – اِمْـحَيَّر – اِمْسَاعِد – اِمْهَاجر – اِمْقَارِب – اِمْقَاوِل

والملاحظ أنَّ تغييرًا يحدث في بداية الكلمة بعد دخول ألف الوصل بتسكين الحرف الأول لتتوالى الكسرة المختلسة في بداية الكلمة والسكون ، طلبًا للخفة لسرعة النطق . واسخدام الألف بالكسرة المختلسة في هذه اللَّهجة يرجع إلى الهروب من ثقل الكسرة أو الضَّمة في بداية الكلمات .

المطلب الرابع : سابقة النُّون والتَّاء لبناء الفعل للمجهول .

الفعل المبنى للمجهول الذي لم يُذكر فاعله في الكلام ، إمَّا للإيجاز ، وإمَّا للعلم به ، أو للجهل به ، أو للخوف عليه ، أو الخوف منه ، أو تحقيره ، أو تعظيمه ، أو للإبهام على السامع ، ولا يبنى الفعل للمجهول إلا من المتعدى بنفسه ، نحو: يُكرم الناسُ الصادقين ، يُكَرَم

الصادقون . أومن الفعل المتعدىٰ بواسطة حرف الجر ، نحو: يَرْفِق الإنسانُ بالضعيفِ ، يـُـرْفَق بالضعيف .

ويـُـبنىٰ الفعلُ للمجهول بكسر ما قبل آخره ، وضمِّ كل متحرك قبله ، نحو: عَلِم و عُلِم ، أَعْلَم _ أُعْلِم .....وهكذا [9]

ولهجة هذه المنطقة لها مبنىً خاص بها في البناء للمجهول ، وذلك باستخدام سابقة التَّاء والنون " تِـنْ " ، تاء مكسورة ونون ساكنة للفعل المضارع ، تتحول إلىٰ ألف وصل ونون في الماضي ، وذلك نحو:

تِـنْكِتِب - طَـفِّي الزِّهَاز

لَيِـنْـحِرِق - تِـنْـعِـزِق - تِـنْـقِتِل - تِـنْـهِزِم - تِـنْـحِرِج

والملاحظ أنَّ هذه السابقة (تِنْ) تتكون من التاء المكسورة ، والنون الساكنة ، ويأتي الحرف التالي لها مكسورًا .

المطلب الخامس : إطالة الصائت القصير في فعل الأمر الثلاثي .

فعل الأمر هو الفعل الذي يدلُّ علىٰ حدث يطلب وقوعه بعد زمن التكلُّم ، وهذا أمر طبيعي، لأنَّك لو قلت: اكتب الدرس ، أو سافرْ إلىٰ الإسكندرية ، أو أدِّ واجبك يا علي ، فإنَّ هذه الأفعال أحداث لم تقع بعدُّ لا في زمن مضىٰ ، ولا في زمن التكلم ، و إنما وقوعها مطلوب في زمن لاحق منوط بالمستقبل .[10]

ولهجة هذه المنطقة لها ضبط خاصٌّ بصيغة الأمر الثلاثي، حيث تتحول حركة عين الفعل القصيرة إلىٰ صائت طويل مناظر له، علىٰ النحو الآتي :

خُوذْ - صِيمْ - قُولْ - عِيشْ - بِيعْ - كُولْ ،

ويبدو أنَّ هذه الظاهرة من بقايا لهجة عربية قديمة .

المطلب السادس: خالفة مصوِّت الواو .

تتميز هذه اللَّهجة باستخدام خالفة الواو في الأفعال و الأسماء ،كما سيتضح ، ويبدو أن هذه الخالفة هي رائحة ما تبقىٰ من ظاهرة الإعْرَاب التي تميِّز لهجات القبائل المهاجِرة من شبه جزيرة العرب إلىٰ شمال إفريقيا والمغرب العربي ، كما ذكرت في المقدمة .

جاء مصوِّت الواو في اللَّهجة محلِّ الدراسة في صورتين ، أولاً: المصوِّت الطَّويل آخر الفعل مع المضارع المتكلم للواحد ، نحو:

نجيبو - نِكْتبو - نِقولو - نشربو - نـمشو

ثانياً: المصوِّت القصير آخر الأسماء و الأفعال للدلالة علىٰ الاستفهام ، نحو: بردُ ؟ - مَنُ ؟ - غاليُ ؟ - اليومُ ؟ - دينارُ

فلا يوجد مبرر صوتي غير أنَّ هذا المصوِّت من بقايا ظاهرة الإعراب التي تتميز بها اللغة العربية .

المطلب السابع: القلب المكاني .

القلب المكاني ظاهرة صرفية لا تخرج عن ذلك التقديم والتأخير [11] في بنية الكلمة ، كالذي نراه في جَذَب وجَبَذ ، وبَكَل ولَبَك ، واضْمَحَلَّ وامْضَحَلَّ ، وأحْجَمْتُ عن الأمر ، وأجْـمَـحْتُ [21]

ويرىٰ الدكتور عبد الفتاح الحمُّوز أنَّ القلب ظاهرة تشيع في القرآن الكريم وقراءاته سبعيها وشاذها، والشعر كذلك وفي الفصيح ولحن العامة ، وفي الحديث الشريف . [13] .

وذهب الأقدمون في القلب مذاهب شتىٰ ، كما يبدو من النص الآتي الذي أورده السيوطي عن أبي جعفر النَّحاس ، الذي قال: " القلب الصَّحيح عند البصريين مثل : شاكِي السِّلاح وشَائِك ، وجُرُف هارٍ وهَائِر، أمَّا ما

يسمِّيه الكوفيون القلب، نحو: جَبَذ ، وجَذَب فليس بقلـــــــب عنـــــــد البصريين ، و إنَّما هي لغتان وليس بمنزلة شاكٍ وشائِك . " [14]

وتحتاج الكلمات التي تعرض لها ظاهرة القلب المكاني إلى دراسة استقرائية كاملة في المعجم العربي ، وذلك لاستخلاص القانون الصوتي العام وراء هذه الظاهرة .

ويمثل القلب المكاني ظاهرة مشتركة بين جميع اللغات السامية، وقد لا يمكن اكتشافه في لغة من اللغات إلا بالمقارنة مع اللغات الأخرى . [15]

وفي لهجة المنطقة محلِّ الدراسة هناك بعض الكلمات التي تمثل هذه الظاهرة ، نحو: أنارب – لُوطَى = الأُوطَى – فالينة – سَحَبـــْتَك

وتفسير القلب المكانيِّ في هذه اللَّهجة البَدَويَّة يرجع إلى تدافُع الحروف على اللِّسان والخطأ من إخراجها، الناتج عن سرعة النطق ، حيث السرعة التي

انتشرت بين القبائل البدوية لتوخيها السرعة في إخراج الكلمات والابتعاد عن المبالغة في التأنُّق بالألفاظ . [16]

المطلب الثامن : التَّصْغير .

التصغير باب من أبواب الصَّرف يعالج المفردات التي حاول الإنسان العربيُّ التعامل معها بدلالة خاصَّة ،ويكون بتغيير يطرأ على بِنية الكلمة بجعلها على وزن (فُعَيْل)،نحو : قـَلَم وقُلَيم. أو(فـُعَيْعِل) ، نحو خالد وخُوَيْلِد .أو (فُعَيْعِيل) ، نحو : مفتاح ومُفَيْتِيح .ويسمى التحقير ، والغرض منه :

أ – التَّحبُّب ، نحو : بُنَيّ ، تصغير ابن .

ب– التحقير ، نحو : شُوَيْعِر ، تصغير شاعر .

ج – تقليل العدد ، نحو : دُرَيْهِمَات ، تصغير دراهم .

د– تقليل ذات الشيء ، نحو : طـُفَيْل ، تصغير طِفْل .

ه – تقريب الزمان أو المكان ، نحو : قُـبَـيْل و فُوَيْق ، تصغير قبل وفوق .

و – الترحم ، نحو :مُسَيْكِين ، تصغير مِسْكِين .

ز – التعظيم ، نحو : دُوَيْهِية ، تصغير داهية . [17] ولا يجري التصغير إلَّا على الاسم ، وبشروط معروفة . [18]

وأفاد الاستقراء في اللَّهجة محلِّ الدراسة شُيوع هذه الظَّاهرة في الحوارات اليومية لأهل هذه المنطقة ، نحو :

– بـــــنيَّة = تصغير بِنْت – يِرْحمْ بـــَـــيَّك = تصغير أب (يرحم الله أباك) – كُتَيِّب العائلة = تصغير كتاب

– راس و رُوَيِّـــــــس = تصغير رَأْس (مَثَل يقال للمتزوجيْن ، ولم ينجبا أطفالًا) – عِوِيشة = تصغير عائشة

وواضح من الأمثلة السابقة شغف هذه اللهجة بالتصغير ، حيث جاءت معظم الأمثلة في مقام التمليح ، وإظهار التودُّد للمخاطب .

المطلب التاسع : النَّسب .

سمَّاه سيبويه (باب الإضافة) ، فقال : " اِعْلم إنَّك إذا أضفْتَ رجلًا إلى رجلٍ ، فجعلْتَه من آل ذلك الرجلِ ألحقْتَ ياءَيْ الإضافة . " [19]

ويكون النسب في الأسماء بإلحاق آخر الاسم ياءً مشددة مكسور ما قبلها ، للدلالة على نسبة شيء إلى آخر ، والذي تلحقه ياء النسب يسمى منسوبًا ، نحو : فاطميّ ومكِّيٌّ وهاشميّ ، ويسمَّى الشيء الذي نسبت إليه منسوبًا إليه : فاطمة – مكَّة – بنو هاشم .

والتغيير الذي يلحق ببنية الاسم أنْ تلحقه ياء النسب المشدَّدة ، وكسر الحرف المتصل بها . [20]

واللهجة محلُّ الدراسة تعاملتْ مع الاسم المنسوب بأبنية مختلفة على النحو الآتي :

ليبيّ – غَرْباويّ – مَرْجاويّ – شَرْقاويّ – تَوِرْغيّ – تَرْهُونيّ – دِرْناويّ – سَبْهاويّ

هذا النسب السابق إلى البلاد والنواحي ، وينتشر – أيضًا – نسب مضاف إلى القبيلة أو بطون أو أفخاذ منها ، نحو : مِسْماري – عَبيدي – بَرْعصي – فَيْتُوري – المنيفي – الفرجاني .....

وربما يفسِّر هذا الانتشارَ الواسعَ لاستخدام النسب التركيبةُ الاجتماعية للمنطقة محل الدراسة القائمة على الجهة والقبيلة ، فغالبًا ما يُنادِي المنادِي الشخصَ باللقب المنسوب ميلًا إلى الاختصار ، وسرعةً في استجابة المنادَى .

والملاحظ هروب اللهجة من استخدام جمع المذكر في جمع الاسم المنسوب ، فاستخدمت إمَّا ياءً مشددة كالموجودة في المصدر الصناعي ، وإمَّا باستخدام جمع التكسير .

كما جاء بناء الاسم المنسوب على النحو الموجود في الفصحى .

هوامش المبحث الثاني

(1) انظر في ذلك :

– شذا العرف في فن الصرف : الشيخ أحمد الحملاوي ، القاهرة ، 1927 . ص 75

– الصرف الوافي : دكتور هادي نهر ، الموصل ، 1989 م . ص 158 – 167 .

(2) شذا العرف ص 75

(3) حول ذلك :

– أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، بيروت ، دار الجيل ، 1979م . ج4 / 312

– شذا العرف في فن الصرف ص 75 : 84

(4) الأصول الجامعة لحكم حروف المضارعة : شمس الدين محمد بن حسن الشافعي (859ه) ، تحقيق حسن محمد عبد الهادي وآخر ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، المجلد الثامن عشر ، العدد الثاني ، يونيو 2010 م . ص 973 : 1003

(5) موسوعة علوم اللغة ج 4 / 571

(6) اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها : ص 189

(7) موسوعة علوم اللغة ج 4 / 571

(8) السابق : نفس الصفحة

(9) حول ذلك انظر :

– همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911ه) ، تحقيق أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، 1418ه = 1998 م . ج 3 / 247

– موسوعة علوم اللغة ج 7 / 154

(10) الصيغة الفعلية دراسة تحليلية : دكتور أحمد كشك ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، 1991 م . ص 72

(11) ظاهرة القلب المكاني في العربية : دكتور عبد الفتاح الحمُّوز ، عمان ، 1986 م . ص 11

(12) أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276ه) ، تحقيق محمد الدالي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، د . ت . ص 42

(13) ظاهرة القلب في العربية ص 77

(14) المزهر في علوم اللغة ج 1 / 481

(15) أصوات العربية في ضوء المنهج المقارن ص 198 ، 199

(16) في اللهجات العربية ص 132

(17) حول ذلك انظر :

– المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285ه) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، 1415ه = 1994م . ج2/ 235 وما بعدها

– شذا العرف في فن الصرف ص88

– شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو : لأبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت 807 ه) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1417ه = 1996م . ص300

– سُلَّم اللِّسان في الصرف والنحو والبيان : جرجي شاهين عطية ، بيروت ، دار ريحاني ، ط 2، بدون تاريخ . ص115

(18) انظر: المعجم المفصل في علم الصرف ، راجي الأسمه ومراجعة د. إميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1413ه = 1993م . ص 177 ، وشذا العرف ص 90

(19) الكتاب ج2/ 69 ، وانظر : المقتضب ج3/ 133

(20) حول ذلك ينظر :

– شرح المكودي ص 306

– موسوعة علوم اللغة ج9/ 300

الخاتمة

1– يمتاز الناطقون بهذه اللهجة بسرعة في الكلام وبذل أقل مجهود في النطق ، بشكل نستطيع أنْ نقول معه أنَّ هذه الصفة هي القاسم المشترك في جميع الظواهر اللهجية التي جاءت في الدراسة .

2 – أظهرت الدراسة أنَّ اللهجة محلَّ الدراسة تحمل ظواهر صوتيَّة وصرفيَّة تجعلها مادة حقيقية مُمَثِّلة للقبائل المنحدرة من شبه الجزيرة العربية ، وتجعلها – كذلك – من أنقى اللهجات العربية المعاصرة ، وأقربها للفصحى . ومن هذه الظواهر :

تسهيل الهمزة – الجيم الاحتكاكية (الجيم التي كالشين) – التبادل بين صوتي السين والصاد – التبادل بين صوتي الضاد والظاء – التلتلة – القاف كصوت لهوي انفجاري مجهور (g) – الفحفحة – القلب المكاني – النسب – التصغير – جمع المؤنث السالم .

3– أظهرت الدراسة ميلًا واضحًا عند الناطقين باللهجة محل الدراسة إلى اختلاس الكسرة (نصف حركة)كوسيلة صوتية لأداء أقلِّ مجهود في نطق الحركات الكاملة (الضمة – الكسرة – الفتحة) ، وظهر ذلك في المواضع الآتية :

أ – إيثار الكسرة المختلسة على الضمة في بداية الكلمات .

ب– تحريك وسط الكلمات الثلاثية بكسرة مختلسة أشبه بصوت القلقلة .

ج– كسر أول الفعل المضارع بنصف حركة لأداء ظاهرة التلتلة .

د– كسر لام التعريف بعد حذف ألف الوصل في الكلمات المعرفة بـــــ (أل) .

ه- كسر التاء من سابقة التاء والنون (تن) لدلالة على البناء للمجهول .

و- وضع همزة وصل بكسرة مختلسة في بداية الأسماء والأفعال .

4- تخلصت اللهجة من صعوبة نطق الهمزة بالتسهيل ، أو بالحذف ، أو بقلبها واوًا .

5- أظهرت الدراسة استخدام اللهجة للنبر بنوعيه :

- نبر القاعدة أو الصيغة في الأفعال والأسماء الثلاثية وفوق الثلاثية .

- نبر الجملة كتعبير عن الصيغ الإفصاحية لدلالات خاصة .

6- استخدمت اللهجة الجموع بأنواعها الثلاثة ، باستخدام ضعيف لجمع المذكر السالم ، في حين تفوَّقت هذه اللهجة على اللهجات العربية المعاصرة بالمحافظة على جمع المؤنث السالم ونون النسوة ، وآثرت اللهجة جمع التكسير .

7- جاءت اللهجة ببناء خاص للفعل المبني للمجهول عن طريق سابقة للفعل بالتاء والنون ، مع كسر التاء وسكون النون (تِنْ) ، تتحول في الماضي إلى ألف وصل ونون (اِنْ) .

8- تشترك اللهجة مع لهجات المغرب العربي في سابقة النون على الفعل المضارع للمتكلم الواحد .

9- استخدمت اللهجة القلب المكاني للتخفيف في بعض الكلمات القليلة .

10- أظهرت الدراسة أنَّ للهجة محل الدراسة ميل خاص إلى استخدام التصغير في تفوُّق واضح على اللهجات العربية المعاصرة في درجة انتشار هذه الظاهرة .

وجاء التصغير للتمليح وإظهار التودد ، والأدب مع المخاطب .

11- أظهرت الدراسة حاجة الناطقين لهذه اللهجة إلى استخدام ظاهرة النسب نظرًا للمكون الاجتماعي القائم على القبيلة والجهة ، ويميل أهل هذه المنطقة إلى نداء اللَّقب كمظهر من مظاهر الاختصار ، وسرعة استجابة المنادِي .

12- ظهر في هذه اللهجة بقايا ظاهرة الإعراب التي تميز اللغة العربية في استخدام خالفة المصوت الضمة بصورتين :

- المصوت الطويل (الواو) آخر الفعل المضارع للمتكلم الواحد .

- المصوت القصير آخر الأسماء والأفعال للدلالة على الاستفهام .

توصيات الدراسة :

1- أظهرت الدراسة ضرورة وضع معجم لهجي للهجات العربية العاصرة بعد تأصيلها من الفصيح المسموع عن العرب ؛هذا المعجم سوف يحافظ على الثراث اللهجي الحالي من التغيير أو الضياع بفعل اختلاط الثقافات الذي يصبغ هذا العصر .

2- ما زالت بلهجات شرق ليبيا حاجة إلى دراسات أخرى على المستوى الصوتي والصرفي والدلالي ؛ لتأصيل التراكيب المستخدمة ؛ نظرًا لما تمثله لهجة هذه المنطقة من أهمية بين اللهجات العربية المعاصرة .

موارد الدراسة

أولًا : الكتب العربية :

1- أباطيل وأسمار : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، 1385 ه .

2- الإبدال والمعاقبة والنظائر : يوسف بن عبد الله أبو القاسم الزجاجي (415ه) ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، 1962 م .

3- أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز : خليل إبراهيم العطية ، البصرة ، 1990 .

4- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي " أبو عمرو بن العلاء " : دكتور عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، 1408 ه = 1987 م .

5- أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276ه) ، تحقيق محمد الدالي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، د . ت .

6- الأصوات العربية : إبراهيم أنيس ، القاهرة ، دار النهضة ، ط3 ، 1971 .

7- أصوات العربية في ضوء المنهج المقارن : دكتور رفعت الفرنواني ، القاهرة ، مطبعة العمرانية للأوفست ، ط2 ، 1993 م .

8- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، بيروت ، دار الجيل ، 1979م .

9- البحر المحيط : محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت745ه) ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1413ه = 1993 م .

10- تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، عبد الرحمن بن خلدون (ت808ه) ، فهرسة خليل شحادة وآخر ، بيروت ، دار الفكر ، 1421ه = 2000م .

11- التطور النحوي للغة العربية : برجشتراسر ، القاهرة ، المركز العربي الحديث للنشر ، د. ت .

12- دراسة الصوت اللغوي : دكتور أحمد مختار عمر ، القاهرة ، 1991 م .

13- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان ابن جني (392 ه) ، تحقيق حسن هنداوي ، دمشق ، 198م .

14- سُلَّم اللِّسان في الصرف والنحو والبيان : جرجي شاهين عطية ، بيروت ، دار ريحاني ، ط 2 ، بدون تاريخ .

15- شذا العرف في فن الصرف : الشيخ أحمد الحملاوي ، القاهرة ، 1927 .

16- شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو : لأبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت 807 ه) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1417ه = 1996م .

17- الصرف الوافي : دكتور هادي نهر ، الموصل ، 1989 م .

18- الصيغة الفعلية دراسة تحليلية : دكتور أحمد كشك ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، 1991 م .

19- ظاهرة القلب المكاني في العربية : دكتور عبد الفتاح الحمُّوز ، عمان ، 1986 م .

20- العربية نحو بناء لغوي جديد ، الأب هنري فليش اليسوعي ، ترجمة د . عبد الصبور شاهين ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت .

21- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : الدكتور محمود السَّعران ، القاهرة 1962 م .

22- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (170ه) ، ترتيب وتحقيق دكتور عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1 2003 م .

23- فصول في فقه اللغة : دكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ، 1981 .

24- فقه اللغة : دكتور محمد فتيح ، القاهرة ، دار النهضة للتوزيع والنشر بجامعة القاهرة ، .1994

25- في اللهجات العربية : دكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ، ط 4 ، 1973 م .

26- القاموس المحيط :محمد بن يعقوب بن محمد فضل الله مجد الدين الفيروز ابادي (817ه) ، القاهرة ، 1913 م .

27- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180) ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة الخانجي ، ط3 ، 1966 م .

28- كتاب الإبدال : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (351ه)، تحقيق عز الدين التنوخي ،دمشق ، 1961 م .

29- لسان العرب : ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ت 711 ه) ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

30- اللغة العربية ، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها : كيس فرستيغ ، ترجمة محمد الشرقاوي ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ط 1 ، 2003 م .

31- اللغة العربية معناها ومبناها : دكتور تمام حسان ، القاهرة ، الهياة العامة المصرية للكتاب ، ط 2 ، 1979م.

32- اللهجات العربية في التراث ، دكتور أحمد علم الدين الجندي ، القاهرة ، 1965 م .

33- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دكتور عبده الراجحي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1998 م.

34- المزهر في علوم اللغة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911ه) ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، القاهرة ، د . ت .

35- المشكلة اللغوية : سمر رَوْحي الفيصل ، بيروت ، 1992 .

36- مفتاح العلوم : أبو بكر بن محمد بن علي سراج الدين أبو يعقوب السكاكي (626ه) ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1937 م

37- المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285ه) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، 1415ه = 1994م .

38- المعجم المفصل في علم الصرف ، راجي الأسمه ومراجعة د. إميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1413ه = 1993م .

39- موسوعة علوم اللغة : إميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2006 م .

40- النشر في القراءات العشر : الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي ابن الجزري (833ه) ، تصحيح محمد علي الضباع ، بيروت ، د . ت

41- همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911ه) ، تحقيق أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، 1418ه = 1998 م .

42- وفَيَات الأعيان وأنباء أهل الزمان ،لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681ه) ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د.ت .

ثانيًا : الدوريات

1 – الأصول الجامعة لحكم حروف المضارعة : شمس الدين محمد بن حسن الشافعي (859ه) ، تحقيق حسن محمد عبد الهادي وآخر ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، المجلد الثامن عشر ، العدد الثاني ، يونيو 2010 م .

2 – العربية بين الفصحى والعامِّية : عارف الكندي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد 44 .

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

by c . ward ،- the phonetics of English
11962 . ، cambridge،

phoneties in linguistics : w . e jones and
2- 1973. ، Britain ،J. laver